المشكلُ القَصَصيَّ في قِصّة ابراهيم (عليه السلام) في ظلال بيانات الزمخشري في كشافه.

م. د. زينب بدن إبراهيم
الكلية التربوية المفتوحة، الرصافة الثانية

The title of the research: The narrative forms in the story of Abraham, pbuh, according to Al-Zamakhshari (538 AH) in his interpretation of AlKashaf

ZAINAB BEDEN IBRAHIM
zainabbeden1978@gmail.com

المستخلص:

شكلتِ القصةِ في القرآن الكريم رمزاً دلالياً بعيد الدلالة، خاصة سورة إبراهيم ع، اذ إن الاشكال القَصصي في القرآن الكريم هو إشكال في الظاهر من خلال النظرة السطحية للكتاب العزيز. إذ في الأصل عبارات متكاملة متراصة في أعلى مستويات الكلام .اذ تتميز القصة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، فلو حذفنا القصة من موقعها الوارد في السورة لاختل المعنى، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ، فلو حذفنا وعلى سبيل المثال، لو حذفنا قصة الغراب التي وردت أثناء الحديث عن قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) لما استقام المعنى، لأن الغرض من ذكر الغرابين كان لحكمة إلهية لبيان حكمة دفن الموتى، ولا ترد القصة في القرآن الكريم إلا إذا تطلبها المقام واقتضت البلاغة ذكرها وقد يكون الدافع من ذكر القصة في السورة هو بيان قدرة الله سبحانه وتعالى كما في قصة أهل الكهف، وقصة إحياء الموتى في سورة البقرة، فاستدعى المقام التذكير بقدرة الله تعالى، وقد جاء الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى ضمن السياق والجو العام الذي يتناسب مع موضوع السورة.

Abstract:

The story in the Holy Qur’an constituted a significant semantic symbol, especially Surat Ibrahim pbuh. As the anecdotal forms in the Holy Qur’an are apparently a problem through the superficial view of the Holy Book

Originally integrated phrases compact at the highest levels of speech

Since the story is distinguished in the Holy Qur’an in that it mixes with the topics of the surah in which it appears in an organic mixture, there is no room for separation between it and other topics of the surah, so that if we delete the story from its position in the surah, the meaning will be disturbed, because the story contributes to clarifying the content of the text and clarifying it for the reader

If we omitted, for example, the story of the raven that was mentioned while talking about the story of the two sons of Adam (Cain and Abel), the meaning would not be

correct, because the purpose of mentioning the raven was for a divine wisdom to explain the wisdom of burying the dead

The story is not mentioned in the Holy Qur'an unless it is required by the station and the rhetoric necessitates mentioning it. The motive for mentioning the story in the surah may be to demonstrate the power of God, Glory be to Him, as in the story of the people of the cave

And the story of reviving the dead as in Surat Al-Baqarah, so the place necessitated a reminder of the power of God, and the talk about the power of God Almighty came within the context and the general atmosphere that is commensurate with the subject of the surah

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير الورى جوهر الحق وريحانه.

أما بعد ...

تتميز القصــة في القرآن الكريم بأنها تمتزج بموضــوعات السـورة التي ترد فيها امتزاجاً عضــوياً لا مجال فيها للفصـل بينها وبين غيرها من موضـوعات السـورة، فلو حذفنا القصـة من موقعها الوارد في السـورة لاختل المعنى، لأن القصــة تســهم في بيان مضــمون النص وإيضــاحه للقارئ، على ســبيل المثال فلو حذفنا قصــة الغراب التي وردت أثناء في الحديث عن قصــة ابني آدم (قابيل وهابيل) لما اســتقام المعنى، لأن الغرض من ذكر الغرابين كان لحكمة إلهية لبيان حكمة دفن الموتى.

ولا ترد القصـة في القرآن الكريم إلا إذا تطلبها المقام واقتضـت البلاغة ذكرها وقد يكون الدافع من ذكر القصـة في السـورة هو بيان قدرة الله سـبحانه وتعالى كما في قصــة أهل الكهف، وقصــة إحياء الموتى كما في سـورة البقرة، فاسـتدعى المقام التذكير بقدرة الله، وقد جاء الحديث عن قدرة الله سـبحانه وتعالى ضـمن السـياق والجو العام الذي يتناسب مع موضوع السورة.

وإذا ما تأملنا مقدمة القصـة القرآنية فإننا نجد أن الخطاب في الغالب يكون موجهاً للنبي عليه الصـلاة والسـلام دلالة على أن هذه القصـة تساق لأجله ولأجل دعوته إما لتثبيته ولتأكيد دعوته بسوق معجزة جديدة من خلال هذه القصة، إما لردع معانديه وتخويفهم، فارتأيت أن يكون بحثي تحت عنوان : (الاشكال القصصي في قصة ابراهيم عليه السلام عند الزمخشري، (ت:٥٣٨هـــ)في تفسيره الكشاف)، وقسمته على تمهيد لوقفة قصيرة مع الزمخشـري ونبذة مختصـرة عن حياته وعلى ثلاثة مباحث متضـمنة مجموعة من المطالب، ثم أردفت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها وكللتها بالمصـادر والمراجع لتوثيق الحقائق، يبقى بحثي بحث طالبة صغيرة في مقام العلم والعلماء فما كان من خير فمن الله وما كان دون ذلك فمن نفسي .

التمهيد: وقفة قصيرة مع الزمخشري ونبذة مختصرة عن حياته.

أولاً– اسمه ولقبه:

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاســـم الزمخشـــري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر، قرية من قرى خوارزم،[١] وقدم بغداد وسـمع من أبي الحطاب بن البطر وغيره، وحدث، وأجاز للسـلفي، وزينب الشعرية قال ابن السمعاني: كان ممن برع في الأدب، والنحو، واللغة لقي الكبار، وصنف التصانيف، ودخل خراسان عدة نوب، وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له.[٢]وكان علامة الأدب، ونسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل.

وقال ابن خلكان: كان إمام عصره وكان متظاهراً بالاعتزال داعية إليه.

له التصـانيف البديعة منها الكشـاف في التفسـير، والفائق في غريب الحديث وأسـاس البلاغة وربيع الأبرار ونصوص الأخبار في الحكايات ومتشابه أسماء الرواة والرائض في الفرائض والمنهاج في الأصول والمفصل في النحو، والأنموذج فيه مختصر. والأحاجي النحوية وغير ذلك.[٣]

ثانياً: – مولده ونشأته:

ولد الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة(٤٦٧هـ) بزمخشر، قرية من قرى خوارم، وقدم بغداد وســمع من أبي الخطاب بن البطر وغيره، وحدث، كان ممن برع في علم الأدب، والنحو، واللغة، وصنف التصانيف في التفسير، والغريب، والنحو، وَوَرَدَ بغداد غير مرة، ودخل خراسان عدة نوب، وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة الأدب، ونسابة العرب، أقام بخوارزم تضرب إليه أكباد الإبل، ثم خرج منها إلى الحج، وأقام برهة من الزمان بالحجاز، ثم انكفأ راجعا إلى خوارزم[٤]

ثالثاً :– شيوخه وتلاميذه:

أ–من أبرز شيوخ الزمخشري الذين أخذ علمه عنهم:

١– محمود بن جرير الضبي الأصبهاني النحوي أبو مضر، كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب، تخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو؛ منهم الزمخشـري، قَالَ ياقوت:

وَلست أعرف لَهُ مَعَ نباهة قدره وشياع ذكره مصنفا مَذْكُورا، وَلَا تأليفا مأثورا، إِلَّا كتابا يشْتَمل على نتف وأشعار وحكايات وأخبار، سَمَّاهُ زَاد الرَّاكِب.[٥].

٢- الحسن بن مظفر النيسابوري أبو علي أديب نبيل شاعر كان مؤدب أهل خوارزم ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم المشار إليه وهو شيخ الزمخشري.[٦]

٣- عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري، نحوي، أصولي، فقيه، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه، له كتاب في (الرد على ابن حزم)، توفي سنة (٥١٨هـ)[٧].

ب-وأما أشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه:

١- علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي، يُلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ الأديب، قرأ الأدب على الزمخشري وصار من أكبر أصحابه، مات سنة (٥٦٠هـ) تقريبا[٨].

٢- أبو الفضل محمد بن أبي القاسم الخوارزمي النحوي، البقال، ويعرف أيضا بالآدمي لحفظه كتاب الآدمي فى النحو، كان إمام حجة فى العربية أخذ عن الزمخشري وخلفه فى حلقته صنف شرح الأسماء الحسنى وكتاب أسرار الكتب، مات بحرجانية خوارزم سنة (٥٧٦هـ)[٩].

٣- ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرز أبو الفتح النحوي الأديب المشهور بالمطرزي، من أهل خوارزم، قرأ على الزمخشري وبرع في النحو واللغة والفقه على مذهب الحنفية، وكان يقال: هو خليفة الزمخشري، صنّف: شرح المقامات، المعرب فِي لُغَة الْفِقْه، الْمغرب فِي شرح المعرب، الْإِقْنَاع فِي اللُّغَة، مُخْتَصر الْمِصْبَاح فِي النَّحْو، مُقَدّمَة فِيهِ مَشْهُورَة بالمطرزية، مُخْتَصر الْإِصْلَاح لِابْنِ السّكيت.وكان معتزليا، مات بخوارزم سنة(٦١٠هـ)[١٠].

رابعاً – مؤلفاته:

صنف الزمخشري تصانيف بديعة وكثيرة في علوم مختلفة منها: (الكشاف) في تفسير القرآن العزيز، لم يصنف قبله مثله و(المحاجاة بالمسائل النحوية) و(المفرد والمركب) في العربية و(الفائق) في تفسير الحديث، و (أساس البلاغة) في اللغة، و(ضالة الناشد والرائض) في علم الفرائض، وغيرها [١١]

– تفسيره المسمى(الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل):

يعتبر تفسير (الكشاف) مثالا لتفسيرات المعتزلة، فقد عني الزمخشري فيه بمسائل البلاغة، كما عَنيَ بشرح عقائد المعتزلة، ويحاول تأييدها بشتى الأدلة[١٢]، فقد ظهر في تفسيره هذا معتزليا مجاهرا باعتزاله، متبنيا لأصوله ومدافعا بكل حرارة عن مذهبه، وقد تجلى هذا في الأسس التي بنى عليها مسلكه في التفسير بالرأي، فصرح في مقدمة تفسيره أن الداعي إلى تأليف هذا التفسير هو تلبية رغبة أتباع وأنصار مذهبه الإعتزالي، في وضع مصنف في هذا الباب يبين عن مسلكهم في فهم نصوص الكتاب والسنة.[١٣]

خامساً – وفاته:

توفي الزمخشري ليلة عَرَفَة سنة (٥٣٨هـ)، بجرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة، رحمه الله تعالى.[١٤]

المبحث الأول (معالم الاشكال القصصي)

المطلب الأول: المشكل لغة واصطلاحاً

المشكل لغة: هو أحد أقسام مبهم الدلالة، وهو يقابل النص من واضح الدلالة.

والمشكل هو ما اشتبه المراد منه على وجه لا يعرف تأويله إلا بدليل يتميز به من باقي سائر الأشكال المختلفة.

أمثلة حول المشكل في اللغة

١ – قال تعالى :﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

ظاهر النص الدلالة على غسل ظاهر البدن لا باطنه، وقد وقع الإشكال في غسل الفم والأنف في الجنابة، وكلاهما باطن في الوجه. فمن عدَّ الوجه الأول قال: بعدم وجوب غسله في الجنابة، ومَن عدَّ الوجه الثاني قال بوجوب غسله فيها.

٢ – قال تعالى :﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾[البقرة: ٢٢٣].

أَنَّى تأتي بمعان مختلفة منها:

أولاً – كيف.

ثانياً– أين.

ثالثاً– متى.

رابعاً– حيث. فهذا التنوع في الدلالة سبب الإبهام والإشكال. ولكن بالنظر والتأمل نستبعد كلا من أَيْنَ وحَيْثُ ،لأن نِساؤُكُمْ فسرت ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾{البقرة :٢٢٢}.

وهكذا نستبعد (مَتى) لتضمنها مطلق الزمان. قال تعالى:﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ { البقرة :٢٢٢}.

ولذا يترجح معنى (كَيْفَ) على غيرها من المعاني.

٣ – قال تعالى :﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]:

فالقَرء معناه:

أولاً – الحيض: ومن أدلة القائلين بهذا المعنى استدلالهم ب (طلاق الأمة ثنتان وعدتها حيضة).

ثانياً – الطهر: واستدل مَن قال بهذا بقوله:﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] أي في وقت العدة، والطلاق المشروع هو ما كان في طهر[١٥].

المشكل اصطلاحاً:

هو ما لا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب. وهو الداخل في أشكاله، أي في أمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم، أشكل أي صار ذا شكل، كما يقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حرمة[١٦]، مثل قوله تعالى: ﴿ قواريرا من فِضة ﴾{الانسان :١٦} ، أنه أشكل في أوان الجنة لاستحالة اتخاذ القارورة من الفضة، والإشكال هي الفضة والزجاج، فإذا تأملنا علمنا أن تلك الأواني لا تكون من الزجاج ولا من الفضة، بل لها حظ منهما، إذ القارورة تستعار للصفاء، والفضة للبياض، فكانت الأواني في صفاء القارورة وبياض الفضة.

هذه الكلمة على وزن مُفعِل وهي مأخوذة من المادة اللغوية (ش ك ل) التي تعني في اصل وضعها اللغوي الشبه والمثل. [١٧]

المطلب الثاني: القِصّة لغة واصطلاحاً

أولاً: القصة لغة: مأخوذة من الجذر الثلاثي (ق ص ص) الذي انتظمت اشتقاقاته في معانٍ عدّة القرآن الكريم ، فقد ورد بمعنى الاقفاء وتتبع الاثر [١٨]كما في قوله تعالى : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) {القصص: ١١}.

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: القصـــاص بمعنى اقتص أثره[١٩] وورد بمعنى الخبر والامر والشـــأن والحكاية يقال ما قصـتك ما شـانك والجمع قصـص بكسـر القاف وفتحها[٢٠] كما في قوله تعالى :(فَاقْصُـصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {الاعراف: ١٧٦}

ومن خلال المعاني اللغوية تبين أن القصـــة في أصـــلها اللّغوّي مأخوذة من القصّ وهو اقتفاء الاثر وتتبعه وكما تأتي بمعنى الشأن والامر والخبر.

ثانياً :القِصّة اصطلاحاً: هي الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضاً[٢١].

المبحث الثاني : حقائق القصص القرآنية و وظائفها

المطلب الأول : منزلة القصص القرآنية :وقصص القرآن أصدق القصص؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ {النســاء: الآية٨٧} وذلك لتمام مطابقتها على الواقع وأحســن القصــص لقوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَــنَ الْقَصَــصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآن} {يوســف: الآية ٣} وذلك لاشــتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى.

وأنفع القصـص، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَـصِـهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَاب} {يوسف: الآية ١١١} ؛ وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

المطلب الثاني : أقسام القصص القرآنية

وهي ثلاثة أقسام:

أولاً– قسم عن الأنبياء والرسل، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكافرين.

ثانياً – وقســم عن أفراد وطوائف، جرى لهم ما فيه عبرة، فنقلة الله تعالى عنهم، كقصــة مريم، ولقمان، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وأصحاب الأخدود وغير ذلك.

ثالثاً– وقسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي صـلى الله عليه واله وسلم، كقصـة غزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني قريظة، وبني النضير، وزيد بن حارثة، وأبي لهب، وغير ذلك.

المطلب الثالث : حِكمُ القصص القرآنية وفوائدها

وللقصص في القرآن حكم وفوائد كثيرة عظيمة منها:

١- بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص؛ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ {القمر: ٤}.

٢ – بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين؛ لقوله تعالى عن المكذبين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ {هود ١٠١}

٣- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ﴾ {القمر: ٣٤-٣٥}.

٤- تسلية النبي صلى الله عليه واله وسلم عما أصابه من المكذبين له؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ {فاطر:٢٥}.

٥- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد، لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الأنبياء: ٨٨} .

٦- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ {محمد: ١٠}.

٧- إثبات رسالة النبي صلى الله عليه واله وسلم فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل، لقوله تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} {هود: ٤٩)٢٢

المطلب الرابع :القصة القرآنية والقصة الوضعية

أولاً : القصة القرآنية تعدّ القصة من أكثر الأساليب الفنية تأثيراً في النفوس، يرى فيها الإنسان، ما يراه في حياته من أحداث وأشخاص وصراع، وحوار. فسحرت بذلك النفوس، وأسرت القلوب.

وقد يرجع التشويق في القصة إلى تعدد مشاهدها، وتنوّع حوادثها، وتباين أشخاصها، وطريقتها الفنية في حبك الأحداث، ونموّها، وتصوير شخصياتها من النواحي النفسية والجسمية والسلوكية والفكرية، ونشاط الخيال في ملء فجواتها الفنية بين المشاهد، والمشاركة الوجدانية لبعض الشخصيات، وانفعال القارئ بالمواقف والحوادث حين يتخيل نفسه وسط هذه الأحداث والصراع.

والقرآن الكريم يراعي هذا الميل الفطري للإنسان نحو القصة، فيتّخذها وسيلة فنية، لتحقيق أغراضه الدينية. لذا نجد كثرة القصص في القرآن الكريم، إلى جانب الأساليب الأخرى، تتفاعل معها، وتتواصل في نقل

الحقائق الدينية. والقصة في القرآن الكريم تتميّز عن غيرها من القصص الفنية، بموضوعها الديني، وأسلوبها الرفيع الملائم لسمو القرآن الكريم، وأشخاصها، وحوادثها . فهي قصة فنية ذات هدف ديني بحت، ولكنها تفي بكل العناصر الفنية للقصة .

تهدف قصص الأنبياء والرسل إلى تحقيق غرض ديني من عرضها في القرآن، ولكن هذا الغرض الديني لم يخلّ بالجانب الفني فيها، بل إن الجانب الفني قد وظّف توظيفاً دقيقاً في سرد هذه القصص لتحقيق هذا الغرض. وهي قصص تاريخية، ولا يمكن التشكيك فيها لقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾{ يوسف: ١١١}.

والفن في هذه القصص، يكمن في صدق تصوير الأحداث، والدقة في عرضها، وإحياء مشاهدها. وليس الفن فيها اختلاقاً أو تخيلاً لأحداث لم تقع بقصد تحقيق التأثير النفسي للعظة والعبرة،[٢٣] كما هو يحدث عند الشاعر أو الكاتب إذا كرر مضموناً أو قصة لا يكون كلامه الثاني مثل الأول، بينما تكررت المضامين القرآنية في قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت فيها العبارات إيجازا وإطنابا وغيبة وخطابا، ومع ذلك جاءت هذه المضامين كلها في نهاية الفصاحة، ولم يظهر التفاوت أصلا.[٢٤]

وحين تهمل القصة تحديد الزمان والمكان، وأسماء الأشخاص والتعريف بهم، فإن ذلك يرجع إلى خصوصية القصة القرآنية، ذات الهدف الديني، فهي لا تهدف إلى التأريخ للأحداث، أو الإمتاع الفني المجرد، بل إنها ترمي إلى بيان رسالة الله للبشر، وموقف الناس منها على مدار التاريخ، لذلك فإنها: «ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق– إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها».

ومن الخطأ أن ننظر إلى القصة في القرآن، من خلال المقاييس الفنية المستخلصة للقصة الفنية الطليقة، لأن القصة القرآنية متميّزة بغرضها الديني، وخاضعة له «ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، ولا سيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير».

فالهدف الديني هو الغاية من القصـــة في القرآن، وليس التأريخ، لهذا لا نجد فيها تحديدا للأزمنة والأمكنة التي وقعت فيها الأحداث، كما لا نلاحظ عناية في تصوير السمات الحسية للشخصيات، وذكر أسمائهم.

بل إن الأحداث في القصة، لم ترد في سياق واحد مجتمعة– ما عدا قصة يوسف– وإنما جاءت موزّعة في أنســاق تعبيرية تقتضــيها، لتحقيق الغرض الديني منها. ولكن هذه الحلقات الموزّعة للقصــة الواحدة مترابطة ومتناسقة ومتكاملة، بحيث لو جمعناها، لتكوّنت القصة متكاملة بأحداثها وأشخاصها وهذا ما يؤكد قيام القصة في القرآن على نظام العلاقات التصــويرية والتعبيرية والفكرية. حتى تتكون من ذلك كلّه قصــة متكاملة ذات نسـيج موحّد، شــأنها في ذلك شــأن الصــورة القرآنية عامة، وقد أثّر الغرض الديني للقصــة في بنائها الفني وتركيبها، وطريقة عرضها، وطولها وقصرها، ورسم شخصياتها.[٢٥]

ثانياً: الاختلاف بين القصــة الدينية والقصــة الفنية: ومن أوجه الاختلاف بين القصــة الدينية والقصــة الفنية، أن القصــة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصــة، التي تسبق سرد أحداث القصــة، أو تلحق السرد، أو تأتي خلاله لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يبررها حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أســاليب التذكير والوعظ والزجر، ومن الأمثلة على ذلك طريقة عرض قصــة أهل الكهف إذ تلتقي بملخصــها في ثلاث آيات ثم يأتي التفصــيل. فالقصــة القرآنية تحرص على إبراز المغزى في حين لا يجوز ذلك في القصــة الفنية، والمحلل الأسلوبي لا يحتاج إلى تبرير مثل هذا المنهج الذي يتناسب مع غايات القرآن الكريم الدينية، فالقصــة القرآنية قصــة إيمان وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنســاني، والقرآن الكريم جاء لكل العقول والاتجاهات، وبعض الناس قد لا يستطيع استنتاج العبرة من القصــة، فكان لابدً من إرشــاده إلى الغرض الذي تجسده بأسلوب يغلب عليه التبسيط أحياناً لتوضيح العبرة ليفهمها كل إنسان. ولكن هذا لا يعني أن القصــة القرآنية تأخذ بالتقرير والمباشــرة وإنما هي تهتم بالتصــوير والتجسيم والاســتحضــار والإيحاء، فسورة "يوسف" من أولها إلى آخرها لم تقل شيئاً عن وسامة يوسف عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في أعين النسـوة اللائي عندما رأينه، قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسـامته. فحقيقة جمال ووسـامة يوسـف قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعالى: ((فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم))٣١ {يوسـف: ٣١} والتضــعيف في الفعل (قَطَّعن) أســهم في إيضــاح الموقف وتصــويره بحيث يمكننا تخيل مشـهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، فتشبيه يوسف بالملك الكريم يعني أن جماله فاق الوصف.[٢٦]

وهذه الخصائص الفنية متبعة في القصة القرآنية التي ترمي إلى تحقيق أغراض دينية، فهي تهمل مشاهد، وتركّز على مشاهد معينة، يكون فيها الغرض الديني واضحا.

ويعد التصوير الفني للأحداث والشخصيات أهم العناصر الفنية في القصص القرآني، فهو الذي يقوم بنقل الحوادث، ويجسّم العواطف والمشاعر الإنسانية، ويصوّر الشخصيات، فيجعل القصة حية شاخصة بأحداثها وأشخاصها، وليست مجرد قصة تروى.

المطلب الخامس : التنويع في القصص القرآنية :

اعتمدت القصة على التنويع في أسلوب العرض للأحداث، منها :

١- فمرّة تبدأ بإعطاء موجز عن الأحداث لتهيّئ الأذهان، وتشوّقها إلى العرض المفصّل بعد ذلك كقصة أصحاب الكهف.

٢-ومرّة تضع مغزى القصة، أو نهايتها قبل العرض المفصّل، كما في قصة يوسف إذ نلاحظ أن أحداثها المفصّلة، جاءت بمنزلة تفسير لرؤيا يوسف في بداية القصة.

٣- وأحيانا تعرض القصة بعد مقدمات. كقِصّة مريم. وقد يشير أحيانا ببعض الألفاظ لبداية العرض، ثم يترك القصة تعبر عن نفسها كقصة إبراهيم وإسماعيل في بناء الكعبة.

وكما تنوّعت طرق العرض للأحداث، تنوّعت أيضا طرق «الإثارة الفنية»، وذلك بالاعتماد على عنصر المفاجأة المؤثّر في النفوس.

فقد تكون المفاجأة لبطل القصة والقرّاء معا وقد تكون لأبطال القصة وليس للقراء، لأنهم يعرفون السرّ مسبقا مثل «قصة أصحاب الجنة». وغالبا ما يكون ذلك لتحقيق السخرية والتهكم.

كذلك هناك الفجوات الفنية متروكة بين المشهد والمشهد ليقوم الخيال بملء هذه الفجوات.

ولا يخفى ما في هذه الفجوات بين المشاهد القصصية من إثارة للخيال، ومتعة فنية.

وهذه الخصائص الفنية متبعة في القصة القرآنية التي ترمي إلى تحقيق أغراض دينية، فهي تهمل مشاهد، وتركّز على مشاهد معينة، يكون فيها الغرض الديني واضحاً.

ويعد التصوير الفني للأحداث والشخصيات أهم العناصر الفنية في القصص القرآنيّ، فهو الذي يقوم بنقل الحوادث، ويجسّم العواطف والمشاعر الإنسانية، ويصوّر الشخصيات، فيجعل القصة حية شاخصة بأحداثها وأشخاصها، وليست مجرد قصة تروى.[٢٧]

المبحث الثالث: المشكل القصصي حول قصة ابراهيم (عليه السلام)

المطلب الأول : إبراهيم (عليه السلام) في سطور

وهو أحد الرُّســل الذين بعثهم الله تعالى لدعوة النَّاس إلى عبادة الله وحده، كنيته أبو الأنبياء ودينه الحنيفيّة، يُعرف بخليل الرحمن، وخليل الله، وهو الجدّ الأعلى للرسول صلّى الله عليه وسلّم، تجمل ابراهيم عليه السلام بالادب والخلق القويم ،فكانت دعوته تجســـيدا لهذه المعاني قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ النحل : ١٢٠ جاء في تفسير الزمخشري في قوله تعالى :﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وءاتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الاخرة لمن الصالحين ﴾(النحل : (١٢٠) إن إبراهيم كان . . . . .) كان أمة (فيه وجهان :

أحدهما : أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صـفات الخير كقوله : وليس على الله بمسـتنكر أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد : كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار .

والثاني : أن يكون أمة بمعنى مأموم ، أي : يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير ، أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة ، وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول ، فيكون مثل قوله ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ {البقرة : ١٢٤ }.[٢٨]

قام هو وابنه إسماعيل برفع قواعد البيت العتيق في مكّة المكرّمة بعد أن رحل إلى مكّة مع زوجته هاجر وابنه إسـماعيل، وقد أتاه الله سـبحانه صـحفًا تدعو إلى التوحيد " ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ﴾ { البقرة : ١٢٧}.

وقال الزمخشري: ((إن اسم سورة من سور القرآن الكريم باسمه، وهي السُّورة رقم ١٤ في ترتيب المصحف، مكِّيَّة، عدد آياتها اثنتان وخمسون آية)).[٢٩] وفيه يقول سبحانه: ﴿ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْـرانِيًّا وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ {٦٧: آل عمران}. وإبراهيم هو أبو الأنبياء، وعلى دينه– وهو الإسلام– كان جميع الأنبياء من بعده! وعلى هذا، فليس المراد «بالإسـلام» هو الشـريعة الإسـلامية التي جاء بها محمد عليه الصـلاة والسـلام، خاصـة، إذ ليست هذه الشـريعة بدعا من الشـرائع السـماوية التي سـبقتها، بل هي وما قبلها من الشرائع– من يهودية ونصـرانية وغيرهما– على سـواء.. فجميعها شـريعة الله، وكلها «الإسـلام» الذي هو الدين عند الله، ولا دين غيره.

المطلب الثاني: ابراهيم عليه السلام وجدال قومه

كَانُ قوم ابراهيم عليه السلام يعْبدُونَ الْكَوَاكِب ويصورون الْأَصْنَام على صورها وأسمائها فِي هياكلهم ويعدون لَهَا الأعياد ويذبحون لعا الذَّبَائِح ويقربون لَهَا الْقرب والقرابين والدخن وَيَقُولُونَ أَنَّهَا تعقل وتدبر وتضـــر وَتَنْفَع ويقيمون لكل كَوْكَب مِنْهَا شَـرِيعَة محدودة فوبخهم الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّـلَام على ذَلِك وسـخر مِنْهُم وَجعل يُرِيهم تَعْظِيم الشَّـمْس لكبر جرمها كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿فاليوم الَّذين آمنُوا من الْكفَّار يَضْـحَكُونَ﴾{المطففينك٣٤}. فأراهم ضـــعف عُقُولهمْ فِي تعظيمهم لهَذِهِ الأجرام المســـخرة الجمادية وَبَين لهمأنهم مخطئون وَأَنَّهَا مُدبرَة تنْتَقل فِي الْأَمَاكِن ومعاذ الله أَن يكون الْخَلِيل عَلَيْهِ السَّـلَام أشـرك قطّ بربه أَو شـكّ فِي أَن الْفلك بِكُل مَا فِيهِ مَخْلُوق وبرهان قَوْلنَا هَذَا إِن الله تَعَالَى لم يعاتبه على شَـيْء مِمَّا ذكر وَلَا عنفه على ذَلِك بل صـدقه تَعَالَى بقوله: ﴿وَتلك حجتنا آتيناها إِبْرَاهِيم على قومه نرفع دَرَجَات من نشَاء﴾ {الانعام :٨٣}.فصح هَذَا بِخِلَاف مَا وَقع لآدَم وَغَيره بل وَافق مُرَاد الله عز وَجل بِمَا قَالَ من ذَلِك وَبِمَا فعل وَأما قَوْله عَلَيْهِ السَّـلَام رب أَرِنِي كَيفَ تحيي الْمَوْتَى قَالَ أولم تؤمن قَالَ: بلَى وَلَكِن ليطمئن قلبِي فَلم يقرره رَبنَا عز وَجل وَهُوَ يشـك فِي إِيمَان إِبْرَاهِيم عَبده وخليله وَرَسُـوله عَلَيْهِ السَّـلَام تَعَالَى الله عَن ذَلِك وَلَكِن تَقْرِير الْإِيمَان فِي قلبه وَإِن لم ير كَيْفيَّة إِحْيَاء الْمَوْتَى فَأخْبر عَلَيْهِ السَّـلَام عَن نَفسـه أَنه مُؤمن مُصـدق وَإِنَّمَا أَرَادَ أَن يرى الْكَيْفِيَّة فَقَط وَيعْتَبر بذلك وَمَا شـكّ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّـلَام فِي أَن الله تَعَالَى يحيي الْمَوْتَى وَإِنَّمَا أَرَادَ أَن يرى الْهَيْئَة كَمَا أننا لَا نشـك فِي صِـحَة وجود الْفِيل والتمساح والكسوف وَزِيَادَة النَّهر والخليفة ثمَّ يرغب من لم ير لَك منافي أَن يرى كل ذَلِك وَلَا يشك فِي أَنه حق لَكِن ليرى الْعجب الَّذِي يتمثله وَلم تقع عَلَيْهِ حاسة بَصَره فَقَط وَأما مَا روى عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نَحن أَحَق بِالشَّـكِّ من إِبْرَاهِيم فَمن ظن أَن النَّبِي صـلى الله عَلَيْهِ وَسـلم شـكّ قطّ فِي قدرَة ربه عز وَجل على إِحْيَاء الْمَوْتَى فقد كفر وَهَذَا الحَدِيث حجَّة لنا على نفي الشَّـك عَن إِبْرَاهِيم أَي لَو كَانَ الْكَلَام من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّـلَام شكا لَكَانَ من لم يُشَـاهد من الْقُدْرَة مَا شَاهد إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام أَحَق بِالشَّكِّ فَإِذا كَانَ من لم يُشَـاهد من الْقُدْرَة مَا شَاهد إِبْرَاهِيم غير شَاك فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام أبعد من الشَّك .[٣٠]

وقد بين القرآن الكريم في آياته ضـلالهم إلا أن الإشكال تطرق إلى بعض تلك الآيات نتيجة الفهم المختلف في معاني القرآن الكريم عند المتلقي ، كقوله تعالى ﴿هذا ربي﴾ و﴿ اني سقيم﴾ {الصافات :٨٩} .واختي سارة ، فسر الزمخشري قول إبراهيم عليه السلام وبين ما أُشكل على المتلقي .

بيان وجه الاشكال:

بيان القارىء لقوله تعالى :﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾الانعام ٧٦. يتبادر الى ذهنه امر لا يجوز أن يصدر من قبل نبي كون الانبياء عليهم السلام يتصفون بالعصمة والتي هي عدم الوقع بالخطأ او الزلل فكيف يقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي للكوكب والشمس، والقمر وهو نبي الله تعالى ؟

المطلب الثالث: الإشكالات في قصة ابراهيم (عليه السلام) :

أولاً : رأي الزمخشري :كيف استجاز ابراهيم عليه السلام ان يقول (اني سقيم) ولم يكن سقيما ؟وقوله بل فعله كبيرهم وذكر لفظة الاخت على السيدة سارة هذا ذكر الزمخشري –رحمه الله – هذه الاشكالات ، واجاب عليها فقال: ﴿إِنّى سَقِيمٌ﴾ { الصافات : ٨٩ } وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ { الأنبياء : ٦٣ }. وقوله لسارّة : هي أختي . وما هي إلا معاريض كلام ، وتخيلات للكفرة ، وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار . فإن قلت : إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة ، فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له ؟ قلت : الجواب ما سبق لي : أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم ، وهضم لأنفسهم ، ويدل عليه قوله :) أَطْمَعُ (ولم يجزم القول بالمغفرة . وفيه تعليم لأممهم ، وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها ، وطلب المغفرة مما يفرط منهم . فإن قلت : لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين ، وإنما تغفر في الدنيا ؟ قلت : لأنّ أثرها يتبين يومئذٍ وهو الآن خفي لا يعلم .

وقوله : ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الاٌّ خِرِينَ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّآلّينَ وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء :{ ٨٣ } .[٣١]

وقوله تعالى :﴿فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم فتولوا عنه مدبرين ﴾ {الصافات : (٨٨ – ٩٠ } فنظر نظرة فى النجوم (في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها ، وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه فقال : حبيب أنظر إليه ومحتاج أنظر له ، وكتاب أنظر فيه . كان القوم نجامين ، فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم) فقال إنى سقيم (إني مشارف للسقم وهو الطاعون ، وكان أغلب الأسقام عليهم ، وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه ، فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ، ففعل بالأصنام ما فعل . فإن قلت : كيف جاز له أن يكذب ؟ قلت : قد جوزه بعض الناس في المكيدة في

الحرب والتقية ، وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين . والصحيح: أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى ، والذي قاله إبراهيم عليه السلام : معراض من الكلام ، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم . ومنه المثل : كفى بالسلامة داء فقال تعالى :﴿ فراغ إلىءالهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين ﴾{الصافات :٩١ } فراغ إلى آلهتهم . . .) فراغ إلى ءالهتهم (فذهب إليها في خفية ، من روغة الثعلب ، إلى آلهتهم : إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة ، كقوله تعالى : أين شركائي ؟) ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون (استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها) فراغ عليهم (فأقبل عليهم مستخفيا ، كأنه قال : فضربهم) ضربا (لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم . أو فراغ عليهم يضربهم ضربا . أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا . وقرىء : (صفقا) وسفقا ، ومعناهما : الضرب . ومعنى ضربا) باليمين (ضربا شديدا قويا ؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما . وقيل : بالقوة والمتانة ، وقيل : بسبب الحلف ، وهو قوله : ﴿ تالله لاكيدن أصنامكم﴾ {الانبياء :٥٧ } وقوله :﴿ فأقبلوا إليه يزفون﴾ {الصافات : ٩٤ } فأقبلوا إليه يزفون) يزفون (يسرعون ، من زفيف النعام . ويزفون : من أزف ، إذا دخل في الزفيف . أو من أزفه ، إذا حمله على الزفيف ، أي : يزف بعضهم بعضا . ويزفون ، على البناء للمفعول ، أي : يحملون على الزفيف . ويزفون ، من وزف يزف إذا أسرع . ويزفون : من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم إليه ، فإن قلت : بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿قالوا من فعل هاذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ { الأنبياء : ٥٩ – ٦٠ } كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى ، فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به ، وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر ، حتى قيل لهم : سمعنا إبراهيم يذمهم ، فلعله هو الكاسر ؛ ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها ، وفي الآخر : أنهم استدلوا بذمة على أنه الكاسر . قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفراً منهم دون جمهورهم وكبرائهم ، فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك ، وسألوا : من فعل هذا بها ؟ ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ، ولكن على سبيل التورية التعريض بقولهم (سمعنا فتى يذكرهم) لبعض الصوارف .

والثاني : أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد ، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر . وقولهم : قالوا : فأتوا به على أعين الناس . (قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) الصافات : (٩٥ – ٩٦) يعني خلقاء وخلق ما تعملونه من الأصنام .[٣٢]

وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه ، لما تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم ، فيبكتهم بما أجاب به من قوله :) بل فعله كبيرهم هاذا فسائلوهم (وعن الكلبي) إليه (إلى كبيرهم . ومعنى هذا : لعلهم يرجعون إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات ، فيقولون له : ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفأس على عاتقك ؟ قال هذا بناء على ظنه بهم ، لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها . أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالا ، وأن قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة أن يرجع إليه في حل كل مشكل . فإن قلت : فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم ، فأي فائدة دينية في رجوعهم إليه حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضا ؟ قلت : إذا رجعوا إليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر ، وظهر أنهم في عبادته على جهل عظيم . ﴿ قالوا من فعل هاذا بأالهتنآ إنه لمن الظالمين ﴾{الأنبياء : ٥٩ } قالوا من فعل . . . أي أن من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم ، معدود في الظلمة : إما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام ، وإما لأنهم رأوا إفراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها .قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون (الأنبياء : (٦٠) قالوا سمعنا فتى . . . فإن قلت : ما حكم الفعلين بعد) سمعنا فتى (وأي فرق بينهما ؟ قلت : هما صفتان لفتى ، إلا أن الأول وهو) يذكرهم (لا بد منه لسمع ، لأنك لا تقول : سمعت زيدا وتسكت ، حتى تذكر شيئا مما يسمع . وأما الثاني فليس كذلك . فإن قلت :) إبراهيم (ما هو ؟ قلت : قيل هو خبر مبتدأ محذوف ، أو منادى . والصحيح أنه فاعل يقال ، لأن المراد الاسم لا المسمى) على أعين الناس أي : يثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه) لعلهم يشهدون (عليه بما سمع منه . وبما فعله أو يحضرون عقوبتنا له . روي أن الخبر بلغ نمرود وأشراف قومه ، فأمروا بإحضاره ﴿ قالوا ءأنت فعلت هاذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هاذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ (الأنبياء : ٦٢) قالوا أأنت فعلت . . .

هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني . والقول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم ، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط : أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي لا يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة ، فقلت له : بل كتبته أنت ، كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به ، لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش ، لأن إثباته والأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر ، ولقائل أن يقول : غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة ، وكان غيظ كبيرها

أكبر وأشد لم رأى من زيادة تعظيمهم له . فأسند الفعل إليه لأنه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها ، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه . ويجوز أن يكون حكاية لما يقول إلى تجويزه مذهبهم ، كأنه قال لهم : ما تنكرون أن يفعله كبيرهم . فإن من حق من يعبد ويدعى إلاها أن يقدر على هذا وأشد منه . ويحكى أنه قال : فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها . وقرأ محمد بن السميقع (فعله كبيرهم) ، يعني : فلعله ، أي فلعل الفاعل كبيرهم . ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾(الأنبياء : ٦٤) فرجعوا إلى أنفسهم . . . فلما ألقمهم الحجر وأخذ بمخانقهم ، رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : أنتم الظالمون على الحقيقة ، لا من ظلمتموه حين قلتم : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . ﴿ ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾{ الأنبياء : ٦٥ } ثم نكسوا على . . . نكسته : قلبته فجعلت أسفله أعلاه ، وانتكس : انقلب ، أي : استقاموا حين رجعوا " إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة ، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة ، وأن هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة ، مضارة منهم . أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم عليه السلام مجادلين عنه ، حين نفوا عنها القدرة على النطق . أو قلبوا على رؤوسهم حقيقة ، لفرط إطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام ، فما أحاروا جوابا ما هو حجة عليهم . وقرئ : (نكسوا) بالتشديد ونكسوا ، على لفظ ما سمي فاعله ، أي : نكسوا أنفسهم على رؤوسهم . قرأ به رضوان ابن عبد المعبود . ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء : (٦٦ – ٦٧)

قل أفتعبدون من . . .) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر ، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل ، فتأفف بهم . واللام لبيان المتأفف به . أي : لكم ولآلهتكم هذا التأفف .

﴿ قالوا حرقوه وانصروا ءالهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الا خسرين﴾ (الأنبياء : (٦٨) قالوا حرقوه وانصروا . . .أجمعوا رأيهم لما غلبوا بإهلاكه ؛ وهكذا المبطل إذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح ، لم يكن أحد أبغض إليه من المحق . ولم يبق له مفزع إلا مناصبته ، كما فعلت قريش برسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين عجزوا عن المعارضة والذي أشار بإحراقه نمروذ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما : رجل من أعراب العجم يريد الأكراد . وروي : أنهم حين هموا بإحراقه ، حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثي ، وجمعوا شهرا أصناف الخشب الصلاب ، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول : إن عافاني الله لأجمعن خطبا لإبراهيم عليه السلام ، ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير

تحترق في الجو من وهجها . ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها ، فناداها جبريل عليه السلام) قلنا ياناار كونى بردا وسلاما (ويحكى . ما أحرقت منه إلا وثاقه . وقال له جبريل عليه السلام حين رمي به : هل لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا . قال : فسل ربك . قال : حسبي من سؤالي علمه بحالي . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنما نجا بقوله : حسبي الله ونعم الوكيل.[٣٣]

الخاتمة وفيها أهم النتائج

مروراً في سورة إبراهيم عليه السلام وأنا أعيش أجمل لحظات حياتي في قصصها الجذابة توصلت الى ثمة نتائج يمكن تلخيصها بما يلي :-

١-أن الاشكال القصصي في القرآن الكريم هو إشكال في الظاهر من خلال النظرة السطحية للكتاب العزيز، إذ في الأصل عبارات متكاملة متراصة في أعلى مستويات الكلام .

٢-شكلت القصة في القرآن الكريم رمزاً دلالياً بعيد الدلالة ،خاصة سورة إبراهيم عليه السلام.

٣- تفاعل الحدث في داخل القصة من خلال تفجر عناصر الحياة التي تتضمنها الأحداث من خلال صورها المتعددة .

٤- تعد قصص سورة إبراهيم من القصص الصغار ، وقد تشكلت بنيتها من خلال عدة أمور تشابكت فيما بينها مكونةً قصة من أروع القصص .

٥- أن من المعروف عن سمات القصص القرآني ظاهرة التكرار ؛ وهو أن تتكرر القصة في أكثر من موضع من القرآن ولكن هذا التكرار لا يخلو من فوائد جمة .

٦- كانت قصص القرآن مطمح أنظار الكتاب والشعراء قديماً وحديثاً ، ومنبعاً يستوحون منه خيالاتهم وإبداعاتهم لا سيما الجانب العقائدي .

٧- أن المتمعن في هذه القصص من القرآن يتلمس شحنات نفسية من أبطال القصة ، ومن بعض كلماتها وإشاراتها.

٨- أن القصة القرآنية واقعية ومنبعها السماء وفيها الخير والعبر الكثير وهذا ما لا نجده في القصة الوضعية .

٩-ما زالت القصص القرآنية تمور بالشحنات من الرحمة والعطاء وتعطي لكل جيل دواءه الحقيقي .

١٠-أن أعظم القصص في التاريخ الوضعي تمل من تكرار قراءتها إلا القصص القرآنية فإنك كلما قرأتها ازددت شوقاً وحباً لها وإن كانت على ظهر قلبك .

١١- يضع القرآن القصة في إطار ديني ، تنفذ معه أشعة روحية إلى النفوس ببيان العبرة الأخلاقية والتربوية التي من أجلها أنزل الله القصة.

١٢- أن قصص سورة إبراهيم عليه السلام في القرآن هي قصة الشخصية والأحداث معاً؛ فهي لا تسجل واقعاً فحسب، بل تنتصر للقيم الإنسانية الجديرة بالخلود.

١٣-أن الأخبار التي جاء بها القرآن قد وردت في الكتب السابقة له ؛ ولبيان الفارق بين أسلوب القرآن عن غيره من الكتب نورد مشهداً من العهد القديم " التوراة "، وهذا المشهد هو امتحان لإبراهيم عليه السلام مع أسرته وقومه.

١٤- تعليم الأدب في الحوار والرقة والتلطف والعطف ليتعلم الداخلون في الإسلام تلك القيم ، ويعيشونها ومن ناحية أحرى تصديق الأنبياء السابقين، وتخليد مآثرهم.

١٥- بيان قدرة الله تعالى على الخوارق، وبيان عاقبة الاستقامة والصلاح ، وعاقبة الانحراف والإفساد، وبيان الحكمة الإنسانية العاجلة ، والحكمة الكونية، وهذا ما جرى لإبراهيم عليه السلام

الهوامش

١- الكشاف، الزمخشري،٨/١٥.
٢- البحر المحيط ، ابوحيان الاندلسي،١٧٣/٥.
٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي ، ٣٦ /٣٦٧.
٤- بغية الوعاة ، السيوطي ،٢ / ٢٧٦.
٥- ينظر، بغية الوعاة، للسيوطي، ٣١١/٢.
٦- ينظر، المصدر نفسه: ٥٥/١.
٧- ينظر، الوافي بالوفيات: الصفدي ٦١/٢٢.
٨- طبقات المفسرين العشرين :السيوطي :١ /١١٧.
٩- ينظر، بغية الوعاة، للسيوطي، ٣١١/٢.
١٠- ينظر، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ١٦٨/٥.
١١- ينظر، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، ص١٧٠.
١٢- ينظر، موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ص١.
١٣- ينظر، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ١٧٣/٥.
١٤- معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي ،٢٦٩/١.
١٥- التعريفات، الجرجاني، ٧٠/١.
١٦- المصدر نفسه، ص٣٥.

١٧- لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٣.
١٨- مقاييس اللغة، ابن فارس: ١١/٥.
١٩- ينظر لسان العرب، ابن منظور : ٥/ ٣٦٥١.
٢٠- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ، ٣٧١/٤.
٢١- ينظر، أصول في التفسير: محمد العثيمين ،١/ ٥٢.
٢٢- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد ، ٢٦٣/١.
٢٣- مختصر إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي ، ١٥٠/١.
٢٤- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب ، ٢٦٣/١
٢٥- القصة في القرآن الكريم، الخصائص والدلالات د. إبراهيم الصعبي ، ١ /٨.
٢٦- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ٢٦٣/١.
٢٧- الكشاف، الزمخشري :٥٩٩/٢.
٢٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر:ص٣٢١.
٢٩- الفصـــل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن ســـعيد بن حزم الأندلســـي القرطبي الظاهري،٦/٤.
٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،٣ /٣٢٥،و ينظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري،٢ /٦٩٠.
٣١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،٣/ ١٢٣.
٣٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٣ / ١٢٤.

المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم
١- أساس البلاغة :الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار صادر، بيروت ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
٢- أصول في التفسير: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـــ)، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية ، المكتبة الإسلامية ط ،١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٣- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت: ٧١٦هـ) تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان – الرياض ط ١ ١٤١٩هـ.
٤- البحر المحيط ، أبو حيان الاندلسي، (٧٤٥هـ)، ط ١، باب بغية الوعاة ، بيروت .
٥ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – لبنان ، صيدا.

٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المكتبة التوفيقية.

٧-التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف: دار الكتب العلمية بيروت –ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،ط ١ (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

٩- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة – لبنان ط١،(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

١٠- شرح العقيدة الواسطية محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١ هـ) خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط٦، ١٤٢١ هـ .

١١- الشيعة والسنة إحسان إلهي ظهير الباكستاني (ت: ١٤٠٧هـ) ، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، ط٣، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م.

١٢- الصورة الفنية في المثل القرآني ، د محمد حسين الصغير ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٣- طبقات المفسرين العشرين عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة ط١ .

١٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة .

١٥- في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، دار النهضة العربية – بيروت.

١٦- القصة في القرآن الكريم، الخصائص والدلالات د. إبراهيم الصعبي.

١٧-الكشاف: الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ،٢٠٠٥ م.

١٨- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف_ بيروت، ط١.

١٩- مختصر إظهار الحق: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (ت: ١٣٠٨هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٠- السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط ١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
٢٣- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب ط ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
٢٤- معجم علوم القرآن: إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم – دمشق ط، ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ .
٢٥ –مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، ط ١، بيروت .
٢٦- موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، رمضان يخلف، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية اصول الدين- جامعة الامير عبد القادر الاسلامية – الجزائر.
٢٧- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٢٨- وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ط ١ ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس: دار صادر – بيروت.